

مكتبة مصر
تأليف
مجموعة محمد وسوده

بيع بيع ..!

إعداد : أمير سعيد السحار

رسوم : عبد الرحمن بكر



الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل منقلى بالقنطرة

بَخْ بَخْ .. !! (١)

كان ذلك في السنة الثانية من الهجرة ، وقد اجتمع شمل الكافرين والمشركين ، وانتظم عقدهم ، وتوحدت كلمتهم بعد شتات وفرقة ، واجتمع لهم الزاد والغدة والعدد ، واعتقدوا أنهم بهذه الجموع الكثيرة ، والوفود العديدة الجمّة ، سيفلبون المسلمين ، هذه الفئة القليلة التي أخذ عددها يتضاعف يوماً بعد يوم ، ويتكاثر عاماً بعد عام ، وكأنما ينفخ في ذرايرهم نافع ، أو يبعث فيهم إله الكائنات بروح من عنده لا يعلمها أحد سواه .. !! وإنهم ليحشون المسلمين أشد الحشية ، ويرون فيهم خطراً على أموالهم وآلهم ، فإن المسلمين مع قلوبهم قلوب تتحرك ، وأرواح تتدفق ، وعزيمة وثابة ، شجاعة لا يقف في سبيلها شيء كأنما كان ، وإن الرجل يكون مشركاً ثم يصاب - كما يقولون - أي يرجع عن دينه ، ويدع عبادة الآلهة ، ويسلم فلا يعبد إلا إلهاً واحداً ، سيؤمن بمحمد وبأنبياء الله جميعاً ورسوله السابقين ، فيكون له شأن آخر غير شأنه أيام كان يعبد آلهة متعددة ويدين بدين الجاهلية ، ويضرب في بيداء الظلام كما يضربون !

(١) بَخْ بَخْ أي حسن حسن

وإنهم قد عزموا هذه المرة أن يقضوا قضاءً مُبرماً على هذه
الشرذمة من المسلمين ، وبخاصة ، وأنهم سيدافعون عن أموالهم ،
وتجارتهم ، فلقد أشعل المسلمون هذه الحرب ، أو سيُشعلونها انتقاماً
من قريش ، ورغبة في التعرض لغيرهم وتجاريتهم التي كان قد خرج
في طلبها الرسول الأمين ، حتى بلغ العشرة ، فلم يدركها ،
ووجدتها قد سبقته إلى الشام بأيام . !! ولكنه وبقيّة المسلمين ظلّوا
يرقبون قفول هذه العير من الشام ، بغية الثأر
والانتقام ، فإن قريش



قد بالغت في إيذاء المسلمين ، وتنادت في غيها ، وابتعدت عن
الدعوة الكريمة التي أتى بها هذا النبي العظيم ..



إنهم يعلمون ذلك . ويعرفون أن هزيمتهم في هذه الواقعة ، ستكون طامة عليهم ، ولا يزالون يذكرون كلمات ضمضم بن عمرو الغفاري ، الذي أرسله أبو سفيان رئيس العير حينما دنا بالقافلة من الحجاز ، وجاءته الأنباء أن محمداً ومن آمن به سيلقونه في الطريق .. لقد قال ضمضم لقريش يستفزهم ، ويوقد حميتهم :
 - يا أهل مكة .. يا معشر قريش ! اللطيمة اللطيمة ! قد تعرض لها محمد وأصحابه .. وكأنما كانت هذه الكلمات ناقوس الخطر ، ونفير الحرب ، بعث القوة في النفوس . ودفع الحمية إلى القلوب ، فصرخت الدماء مهتاجة في الشرايين ، وأذن الشيطان فيهم ، فكان لصوته صدى ، وكان لكلامه رنين فانبعث القرشيون من كل حدب وصوب ، خوفاً على العير أن تهاجم ، وعلى الأموال أن تسلب ، وعلى الدماء أن تسيل .. !

وخرج القرشيون صغبرهم وكبرهم ، عظيمهم وحقيرهم ، فلكل منهم نصيب في هذه العير ، إذ لم يبق في مكة قرشي ولا قرشية إلا لهم فيها متاع .. !!

وما هي إلا ساعات حتى مُع الصليل والصهيل ، والأطيط والنفاء ، ووجدت الأشراف من قريش في مقدمة الخارجين ، وأخذ

أبو هب يتراجع ثم يقدم ، وكأنما يناديه ترائبه ، ويقوده عزرائيل عليه السلام بشعاع خفى إلى حيث يلقى حقه ، فيربح المسلمون ١١..
وهكذا بعد مدة قليلة ، اكتمل عددهم خمسين وتسعمائة محارب بين راجل وفارس ، وراكب على بعير .. ١١

وكان النبی صلی اللہ علیہ وسلم قد سبق جيش الكافرين ، ومعه ثلاثمائة أو يزيد من صحابته المخلصين ، الذين استمعوا لقوله الكريم :
— هذه غير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفلكموها — أى يجعلها غنمة لكم — من كان ظهره حاضراً فليركب معنا..

ولم يجد المسلمون أمراً بالوجوب فى كلام الرسول الكريم ، وإنما رأوا تحييراً ، فخرج معه بعضهم ، وبقي البعض منهم ينتظر النتيجة ويرجو النصر لجيش المسلمين .

وما كانت هذه القلة لتضعف من روح المسلمين ، أو تهين من عزيمتهم فلقد كانوا جميعاً رجلاً واحداً أول الأمر ، هو سيدنا محمد ابن عبد الله ، ولم يكن معه أحد ، فكيف بهم الآن وهم ثلاثمائة ، وفيهم رسول الله ، سيدنا محمد بن عبد الله ١٢

إن العبرة ليست بالقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، والعدد والآلات ، وإنما العبرة بالقلوب المخلصة ، والنيات الصادقة ، والأفئدة الناصعة الصافية . وما هم أولاء جاءوا بقلوبهم نقيّة ، وبأفئدتهم طاهرة ، كما خلقها الله ، وبأرواحهم فداءً للدين والعقيدة الإسلامية ، التي يدينون بها ، والتي يتمنون أن يدركهم الموت في سبيل إعلاء شأنها ، ورفع قدرها !!..



ورأى المسلمون جيوش الكافرين وفيرة العدد ، تحال وتدل ،
وتفخر وتزهو ، وترى في دروعها الساترة ، وأسلحتها البراقة
اللامعة ، قوة ونصراً ، وفوزاً وظفراً .

ولقد أدرك المسلمون ما وراء هذه العظمة الزائفة ، والكبرياء
المقيت ، وعلموا أن قريشاً ما هي إلا خشب مسندة ، وأجسام
خاوية ، وصور حقيقتها مؤلمة ، وقلوب كنهها الضعف والخذلان ،
واین هذا كله من المسلمين الذين ارتفعت بهم العقيدة ، وسمت بهم
الروحانية إلى أرقى ما يتمنى الصالحون الأبرار .. !؟



ولكن بعضاً من المسلمين أدركهم لونٌ من الخوفِ والوجلِ ،
 فحالت وجوههم ، وبدأ عليهم ذلك في وضوح ، فعاجلهم
 الرسولُ بالدواءِ الناجعِ ، والعلاجِ المفيدِ ، فقال مناجياً ربّه ، معتبداً
 عليه ، راجياً منه الظفرَ والنصرَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ
 بِخِيَلَيْهَا ، وَعَجِبَهَا ، وَفَخَرَهَا ، تَحَادَكَ ، وَتَخَالَفُ أَمْرَكَ ، وَتَكْذِبُ
 رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ أَنْجِزْهُ .. اللَّهُمَّ أَمْرَتَنِي
 بِالْقَبَاتِ ، وَوَعَدْتَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَإِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِعَادَ .. اللَّهُمَّ
 إِنْ لَمْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ لَا تُعْبُدُ فِي الْأَرْضِ ..

وَاتَّجَهَ قَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ اتِّجَاهًا أَلَانَ الْقُلُوبَ ، وَأَدْهَشَ الْعُقُولَ ، وَاشْتَدَّ
 فِي الدُّعَاءِ اشْتِدَادًا دَفَعَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ ، فِي
 شَفَقَةٍ وَحَنَانٍ : دَعِ عَنْكَ بَعْضَ مَنَاشِدَتِكَ رَبُّكَ ، إِنَّهُ مُنْجِزٌ لَكَ مَا
 وَعَدَكَ بِهِ مِنَ النَّصْرِ .

وسمعت برسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلّمَ روحه وآماله ، واتّصل
 ما بينه وبين السّماءِ ، وأخفق قليلاً ، وأضاءت الأرضُ والسّماءُ ،
 لهذا الخبرِ الذي يُلقَى ، وذلك الأمرِ الذي يُبرّمُ ، ثم انتبه فرحاً
 مسروراً ، وكأنما أزيح عنه عبءٌ ثَقِيلٌ ، لا يكادُ يقومُ بحمله ثم قال :
 - أبشروا يا أبا بكر ! فقد أتى نصرُ اللَّهِ .. !!

واستمع أبو بكر رضي الله عنه إلى هذا ، وهو يفرُّك عينيه ،
ويعرُّك أذنيه ، ولكنه علم أن هذا ما كان يشعر به من قبل . وأن
الله غالب على أمره . !

وإذا أراد الله النصرَ لجماعةٍ فلا خاذلَ لها أبداً ، وإذا أراد
الخذلانَ لجماعةٍ أخرى ، فلا ناصرَ لها أبداً .

وهكذا أراد الله لهذه الفئة القليلة من المسلمين أن تنصرَ ، فجعلهم
قلّةً في نظر المشركين قبل القتال ، لنلا يعرضَ المشركون ويفرّوا ،
ثم حينما التحم الجيشان جعلهم كثيراً في أعين المشركين ، فألقى
الرعبَ في قلوبهم ، وقذفَ بهم في قبافي الخيالِ الشاردِ ، ومطارحِ
الخوفِ المميتِ ، فلم تلبث هذه الأعصابُ أن ضعفت ، وهذه
القلوبُ أن ضعفت ووهنت ، ومع هذا فالحربُ قائمةٌ تطحنُ وتدورُ !
وارتفع صوتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قائلاً في نصيح :
- لا يقدمن أحدٌ منكم إلى شيءٍ حتى أكون أنا دونه .

وعندما دنا المشركون ، ورأى
المسلمون هذه الكثرة الماحقة ،
والعددَ الوفيرَ ، قال الرسولُ الكريمُ
مشجّعاً لهم ، مرغّباً في الأجرِ الكبيرِ ،
والتوابِ الجزيلِ ، الذي يطمعُ فيه كلُّ
مسلمٍ ، ويتطلعُ إليه كلُّ إنسانٍ :



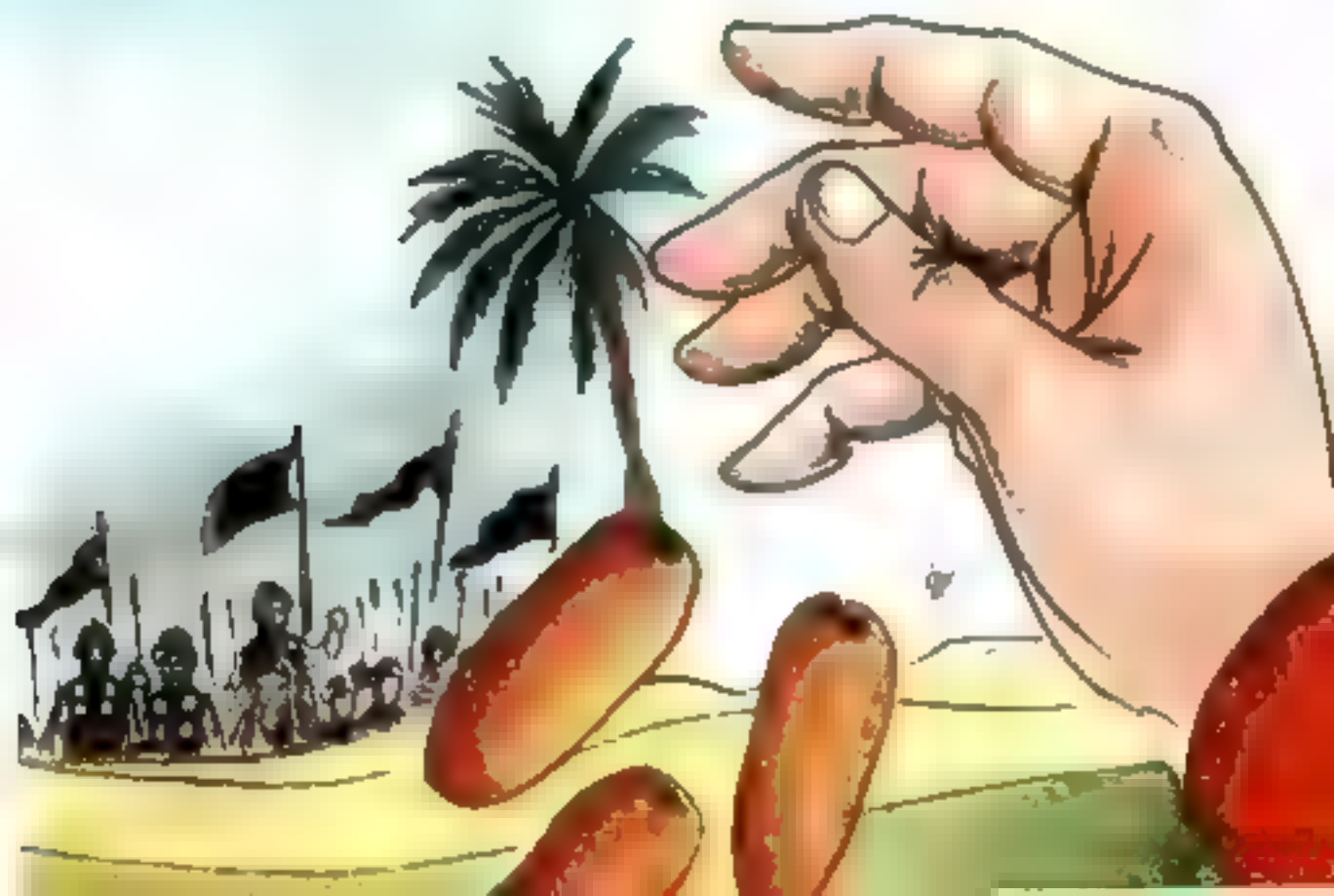
— قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

وكأنما صفعت هذه العبارة غمير بن الحمام الأنصاري الحزرجي ، فأنابه من غفلة ، واستيقظ من نعاس ، وتصور الثمن والمثمن ، الجهاد وما يذل فيه ، والجنة بلذائنها ومفجها ، التي أفقن الله سبحانه وتعالى فيها ، لتكون موطناً مريحاً ، ومكاناً مُمهداً لأحبابه المقربين ، وأصفياه الأدين . تصور الجنة العظيمة ، حتى بالغ الله في حجمها مبالغة



أعطتها لوناً من الإجلال والإعظام ، وكستها ثوباً من التقديس
والاحترام ، وإذا كان هذا هو العرض ، فما بالك بطولها !! يا له من
أسلوب جميل ، وبلاغة سامية !! وماذا يشير الحماسة في القلوب ،
ويدفع الشجاعة إلى النفوس ، غير هذا الأسلوب ، وذلك الهيان ؟
إن العربي يهيم بهذه الأساليب السامية ، وتلك نفسه تلك
العبارات البليغة التي تخاطب قلبه ، وترن في أرجاء نفسه من حين
إلى حين ، فيجد لونها لذة ومتعة ، لا يجدهما في أي لون من
ألوان الحياة ..

لقد ذهل غميرُ حينما سمع عبارة النبي الكريم ، وقال في نفسه
في حيرة وتساؤل :



- أهى الجنة التى اشترى بها الله من المسلمين المؤمنين أنفسهم وأموالهم ؟! إن كانت فما أحرانى باهتبال الفرصة وانتهازها ، وما أجبتنى إن نكصت على عقبي ، وتردذت فى الأمر ! إنها الشهادة إذن ، فما معنى التوانى والتراخى ؟!

وأراد أن يتأكد ، فقال مخاطباً رسول الله :

- يا رسول الله ! جنة عرضها السموات والأرض ؟!

قالها فى تساؤل عجيب . يريد أن يثبت من الأمر ، وأن يكون على بينة منه ليمضى إلى حيث يجد مكانه مُعَدّاً فى الجنة مع الأنبياء والصديقين والصالحين .

وقال رسول الله فى عزم وثقة : نعم .. !!

ولم يقل سواها ، وكأنها كانت هذه الكلمة الرائعة العجيبة (نعم) سر الحياة ، والنشاط والعزيمة الوثابة التى لا تعرف التخاذل أو التوانى . بل كأنها هى أمرٌ روحى فتح لهذا الرجل مغاليق الوجود ، فحكشفت له أسرار الكون ومخائىء الحياة - فاهتزت نفسه وهاجت مشاعره ، وتدفقت فى شرايينه دماء لم يعرف من أين جاءت ، ولا كيف جاءت .. دماء حارة غزيرة ، تلهب بدنه ، وتدفعه إلى الميدان شجاعاً قوياً غير هَيَّابٍ ولا وَجِلٍ !! وانطلق لسانه صاخباً فى ثورة وفرح : بخ بخ .. !!

لقد استعظم الأمر ، وأراد أن يفخمه ويعظمه ، كما يشعر به فى نفسه، ويحس به فى فؤاده ، فلم يجد سوى هذه الكلمة يكررها لتدل

على اهتمامه الشديد بما يعنى ، وأنه الكبير بما يريد .. قالها بسرعة ،
فدهش لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال مستغرباً :

.. ما يحملك على قولك بخ بخ ؟!

فقال عميرُ فى قوة وعزم : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن
أكون من أهلها .. من أهل الجنة ..

فقال الرسول الكريم مغرباً ومسلماً له : فإنك من أهلها .. !!

من أهلها ؟!

وطافت به الفرحة آفاقاً رحبةً وأرجاءً واسعةً ، وكيف لا وقد
سمع هذا الوعد ممن لا ينطق عن الهوى ؟ من الرسول الكريم ؟!
ولكن أسمع هذا الوعد السامى ولا يدفع له ثمناً ؟ .. كلاً .. إن
من الوفاء أن يُخلص الإنسان فى دفع الثمن .. لابد أن يعطى فى
الجهاد سبباً ضارياً يفتك بالظلم والظالمين ، وخطراً داهماً يزلزل
أركان البغي والباغين ..

من أهلها ؟!

بشرارك يا عمير .. وغمره الفرح الغامر ، وشمله السرور والمراح ،
فلم يدرك ماذا يفعل ، وأخرج قمرات من قلبه أى : جعبته ، فجعل
يأكل استرواحاً للنفس ، ولفيض السرور والفرح بهذه البشرى
السعيدة ، كما جرت بذلك عادة الناس ، فى إقبالها على اللذات
والنعم كلما سمعت خيراً ساراً ، وطافت بها فرحة غامرة ..

ولكنه سرعان ما تطلع إلى الميدان الرحيب أمامه . ورأى خيلاء الكافرين ، وزهو المشركين ، وما هم فيه من رخاء المطعم والمشرب والملبس ، واكتمال العدة والعدد ، فثارَت نفسه . واستكثر الحياة على نفسه . وتغنى أن يعجلَ لِنالِ جزاءه بعد ما يفت في عضد هؤلاء المجرمين . وصرخ في عزم :



- لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه . إنها حياة طويلة ..
وقذف بما كان معه من التمر ..

ثم اندفع إلى الميدان يقاتل ويناضل ، في سبيل الحق والعدل
والحرية ، وهو يحرص على الشهادة السامية ، يناضل في سبيل
الموت ، الذي يجد وراءه الحياة الرفيعة في جنات عرضها السموات
والأرض أعدت للمتقين ، وما أبعد الموت على الذين يريدونه ،
ويطلبونه جادين غير هازلين ، وما أقربهم من الذين يخشونه ويفرون
منه ، إنه يعاجلهم ويسرع إليهم !!

ثم جاء الفرج الذي يرجوه عمير ويتمناه !!
وتوالت به قائمة شهداء الأنصار من الخزرج !!
وهتف هاتف :

- إنك من أهلها .. !!

بخ بخ لك يا عمير !

